

سياسة الاحتلال الروماني في المغرب القديم وأثارها المعنوية

The Roman occupation policy in ancient Maghreb and its moral effects

الصيد رانية	يفصح نادية *
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)	جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
rania.ecsid@univ-alger2.dz	nadia.yefsa@univ-alger2.dz

ملخص:	معلومات المقال
تهدف هذه الورقة البحثية الى دراسة موضوع سياسة الاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم، وأثارها المعنوية على مقومات الشخصية الوطنية لسكان هذه المنطقة، ولقد قسمنا البحث الى قسمين، تناولنا في القسم الأول بعض السياسات والأساليب التي اعتمد عليها الرومان لاذعان المغاربة لسلطان روما، وفرض سيطرتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية، لاستنزاف خيرات البلاد، واستئصال هوية سكانها. أما القسم الثاني، فقد تعرضنا فيه للأثار المعنوية، وما ترتب عن ذلك من فقر وحرمان، ذلك بعزل المغاربة عن بعضهم البعض، خاصة بعد تجريدهم من أراضيهم، ومصادرتها وتوزيعها على المعمرين الرومان وقدماء الجنود، ومن أهم النتائج التي توصلنا اليها هي مدى خطورة أثار هذه الأساليب على بلاد المغرب وسكانها، فقد استنزفت خيراتها، وتحول اقتصادها لخدمة الشعب الروماني، وأدت الى خلق هوة عميقة بين طبقات المجتمع.	تاريخ الارسال: 2025/05/09 تاريخ القبول: 2026/02/26
	الكلمات المفتاحية: ✓ الاحتلال ✓ الرومان ✓ المغرب القديم
Abstract :	Article info
	Received:09/05/2025 Accepted:26/02/2026
This research paper aims to study the policy implemented by the Romans in the ancient Maghreb, and its moral effects. First, we deal with some of the policies and methods upon which the Romans relied to subject the Maghrebeans to the authority of Rome, and to impose their political, economic, social and cultural control, to drain and exploit the resources of the region, on the one hand, and annihilate the identity of the population and strip it of its culture and its originality, on the other hand. Secondly, we deal with the moral effects, the poverty and deprivations that resulted from it, by isolating the Maghrebeans from each other, especially after having stripped them of their lands, and distributing them to Roman centenarians and veterans, which led to the creation of a deep chasm between the classes of society, as well as the erasure of elements of national character.	Keywords: ✓ Occupation ✓ The Romans ✓ Ancient Maghreb

❖ **مقدمة:** كانت عملية ضم جزء من مملكة نوميديا الى الممتلكات الرومانية بعد الانتصار الذي أحرزه الرومان على الملك النوميدي يوبا الأول عام 46 ق.م، بداية لدخول المنطقة عهد استعماري طويل، ميزه احتلال وتوسع تدريجي، ثم استغلال واستنزاف خيرات البلاد وتجريد السكان من أراضيهم وطردهم الى الأرياف والمناطق الجبلية، ولعل أخطر السياسات التي لجأ اليها الرومان هي محو المقومات الوطنية وطمس الهوية والحضارة المحلية، فما هي الأساليب التي اعتمد عليها الرومان لإنجاح سياستهم الاستيطانية في المنطقة وما هي الآثار المعنوية التي ترتبت عنها؟

يكمن الهدف من هذه الدراسة، الكشف عن حقيقة المحتل الروماني، ومدى خطورة الأساليب والقوانين التي طبقها على المغاربة، وكذا التعرف على أثار وتبعات هذه السياسة على السكان والبلاد.

أما المنهج المعتمد عليه في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي لتتبع الأحداث من خلال ما جاء في المصادر التاريخية القديمة والدراسات الحديثة، والمنهج التحليلي لتمحيص وغرلة تلك المعلومات قصد الوصول الى مدى صحتها وموضوعيتها.

❖ **أساليب الاحتلال الروماني في المغرب القديم:** يشير شنييتي (1985) أن سقوط قرطاجة عام 146 ق.م بمثابة انهيار الجدار الحصين الذي كان يحمي بلاد المغرب القديم، معنى هذا أن مصير المنطقة بات في أيدي الرومان الذين لجأوا الى تطبيق مختلف السياسات وأساليب المراوغة من أجل احتلالها واستغلال خيراتها، فوجهوا الأوضاع الداخلية للمنطقة حسب ما تقتاضيه المصلحة الرومانية، ذلك لتجنب الاصطدام والدخول في حروب ضد المغاربة كما يذكر غانم (1985) ومن بين تلك الأساليب نذكر ما يلي:

■ **أسلوب التحالفات:** يعود أول تحالف بين الرومان والنوميديين الى عهد ماسينيما الذي أبرم اتفاقا مع القائد سكيبيو أثناء الحرب البونية الثانية ليساعده على استعادة عرش والده غايا من مغتصبه، مقابل الوقوف الى جانب سكيبيو، الذي كان بدوره يبحث عن حليف له من شمال افريقيا لنقل الحرب الى المنطقة وضرب القرطاجيين في عقر دارهم كما توضح يفصح (2017-2018) .

أما التحالف الثاني فيذكر (Salluste 2012) أنه قد عقد بين القائد الروماني سولا والملك الموريطاني بوخوص الأول من أجل المشاركة في مؤامرة إلقاء القبض على الملك النوميدي يوغرطة، ووضع حد للحرب الطويلة التي خاضها هذا الأخير ضد الرومان، ولقد نجح هؤلاء بعد إلحاح في اقناع بوخوص على الخيانة والغدر بحليفه وصهره يوغرطة، مقابل حصوله على جزء من مملكة نوميديا الذي وعده الرومان به بعد تحالفه معهم وتنفيذه لخطتهم. وهكذا تمكن الرومان بهذا الأسلوب الدنيء من إلقاء القبض على يوغرطة بعدما فشلوا في ذلك عن طريق قوة السلاح، وتقسيم مملكته لإضعافها وتهيتها حتى تحين الفرصة لضمها مباشرة إليهم، وهو ما يشير إليه يفصح (2017-2018) هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجح الرومان في خلق مشاكل وخلافات هذه المرة بين النوميديين والموريطانيين.

يتجدد التحالف الروماني حسب (Decret 1981) مرة أخرى مع أبناء المنطقة الواحدة ويقحمونهم في الحرب والصراع القائم بين حزبين متنافسين، ممثلين في حزب العامة بزعامة يوليوس قيصر، والحزب الأرستقراطي بزعامة بومبي، فينحاز النوميديون بقيادة يوبا الأول الى جانب هذا الأخير، بينما ينجح قيصر في استمالة الموريطانيين " بوغود وشقيقه بوخوص الثاني" اليه، وأضافت يفصح (2021) أن نتائج هذا التحالف وخيمة على مستقبل مملكة نوميديا، وبداية لتطبيق مشاريع الرومان الاستيطانية في المنطقة، هذا بعد أن ضمها قيصر إثر انتصاره في معركة تابسوس الفاصلة عام 46 ق.م (يفصح، 2021، ص 89).

■ **سياسة فرق تسد:** يذكر غانم (1998) أن الرومان أدرك منذ البداية أن وحدة النوميديين لا تخدم مصالحهم التوسعية، خاصة عند ما تفتنوا لطموح الملك ماسينيسا وشروعه بعد توحيد النوميديتين، في استعادة ممتلكات أسلافه من قرطاجة واحدة تلو الأخرى، وعمله على إبعاد الخطر الأجنبي عن المنطقة باعتبار افريقيا للأفارقة، مما أدى الى تخوف الرومان والإسراع في مواصلة الحرب البونية الثالثة لتدمير القوة القرطاجية قبل وصول ماسينيسا الى عاصمتها.

و يضيف بشاري (2012) أنه من أجل تقسيم النوميديين وتفكيك وحدتهم، لجأ الرومان الى تطبيق سياسة فرق تسد، وقد شرعوا في ذلك مباشرة بعد وفاة ماسينيسا، حيث تدخل القائد الروماني سكيبيون إيميليانوس وقسم ادارة شؤون المملكة بين أبناء ماسينيسا الثلاث، وإن رأى البعض أن هذا الأخير كان قد عهد قبل وفاته بالخاتم لابنه الأكبر مكوسن الذي يرمز للسيادة والقوة (هذا يوحي أن الملك ماسينيسا كان قد كلف ابنه الأكبر بتولية العرش من بعده، وهذا يتماشى مع ما ينص عليه العرف النوميدي)، حيث يؤول الحكم الى الشخص الأكبر سنا في العائلة الملكة، ينظر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 90) ، لكن تقسيم سكيبيون للسلطة بهذا الشكل كان يهدف من ورائه الى إثارة الخلافات والمشاكل بين الاخوة، ليتمكن فيما بعد من التدخل لتسوية الوضع حسب ما يخدم مصالح وامتيازات الرومان في المملكة .

تدخل الرومان مرة أخرى في شؤون مملكة نوميديا بعد وفاة الملك مكوسن عام 118 ق.م، فحسب (2012) Salluste كانوا قد طلبوا من هذا الأخير تبني ابن أخيه يوغرطة واشراكه في الحكم الى جانب ابني عمه أدربعل وهيمسال، على حد قول سالوستيوس، ولقد أثمر هذا التقسيم، فسرعان ما اشتعلت نار الفتنة بين الأطراف الثلاث، أودت بحياة هيمسال، مما فتح المجال مرة أخرى أمام الرومان ليتدخلوا للفصل بين الطرفين وتقسيم المملكة بينهما، فكان الجزء الشرقي من نوميديا من نصيب هيمسال، بينما تحصل يوغرطة على الجزء الغربي المحاذ لمملكة موريطنيا ، لكن أشار بشاري (2012) أن يوغرطة لم يكن ليرضى بهذا التقسيم فسرعان ما شن هجوما على أدربعل وقتله، وافتك بالجالية الإيطالية المقيمة بالعاصمة كرطا، مما أثار غضب الرومان، فأعلنوا الحرب عليه ، وهي الحرب التي لجأوا فيها الى المؤامرة والخديعة للإيقاع بالملك يوغرطة، كما سبق الذكر.

أضاف بشاري (2012) أن بعد ذلك لجأ الرومان الى تسوية الوضع في الأراضي النوميديّة، معتمدين في ذلك على سياسة التقسيم والتشتيت التي تعودوا عليها، لإضعاف المملكة ومنح أجزاءها لحكام ضمنت تحالفهم مثل غوده شقيق

يوغرطه وبوخص الثاني ملك موريطانيا، وأطلقت اليد لتجارها لاستغلال اقتصاد المنطقة .

■ **سياسة التدرج في ضم الأقاليم:** بعد استكمال الرومان توسعهم في شبه جزيرة إيطاليا، وجهوا أنظارهم نحو المياه المتوسطية وفكروا في العبور الى الضفة الأخرى من صقلية الواقعة ضمن النفوذ القرطاجي كما يشير شنييتي (1985)، هذا ما أدى الى اصطدام القوتين ودخولهما في سلسلة من الحروب الطويلة، عرفت في المصادر التاريخية بالحروب البونية كما يذكر (Polybe 2003) ، انتهت بتدمير قرطاجة عام 146 ق.م وتحول أراضيها الى مقاطعة رومانية هذا ما وضحه حارث (1995).

أقر شنييتي (1985) أن الرومان لم يكتف بضم الأراضي القرطاجية، وانما بدأوا في تطبيق سياسة جديدة تمهد لمرحلة ضم مقبلة للأقاليم المجاورة، وهو ما عرف لديهم بسياسة التدرج في الاحتلال التي تعمل على التقرب من الزعماء والتحالف معهم من جهة، واثارة النزاعات والفتن بينهم من جهة أخرى كما أشرنا اليه سابقا، للتدخل فيما بعد وتسوية الوضع حسب ما يخدم مصالحهم، وتمهيد الظروف لربط الاقتصاد المغربي بالاقتصاد الروماني حتى تحين الفرصة لإلحاق أقاليم أخرى تحت نفوذهم.

كما أضاف شنييتي (1985) أن الرومان قدن مرة أخرى في إقحام النوميديين والموريطانيين في الصراع السياسي الروماني الذي ظهر في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، بين حزبين متعارضين متمثلين في حزب العامة بزعامة يوليوس قيصر والحزب الأرستقراطي بزعامة بومبي، وذلك عندما انتقلت دائرة الصراع من روما الى شمال إفريقيا، فتحالف يوبا الأول ملك نوميديا الى جانب بومبي، بينما وقف بوخص الثاني ملك موريطانيا الى جانب يوليوس قيصر، ولقد كان لانتصار قيصر في معركة تابسوس الحاسمة على يوبا عام 46 ق.م نهاية مأساوية لمصير مملكة نوميديا التي أصبحت اقليما رومانيا جديدا، أضافه قيصر الى المكاسب الرومانية القديمة المتمثلة في الأراضي القرطاجية التي ضمت اليهم عام 146 ق.م بعد إلحاق أراضي مملكة نوميديا بالامتلاكات الرومانية وتسوية أمورها حسب ما يخدم مصالح

الرومان وجه هؤلاء أنظارهم نحو مملكة موريطنيا التي كانوا قد مهدوا الطريق للتقرب من ملوكهم واستمالتهم واقحامهم في نزاعاتهم الداخلية، مثلما حدث في النزاع بين القيصرين والبومبيين كما ذكرنا سابقا، ثم جرهم مرة أخرى للمشاركة في الحرب الأهلية بين الزعيمين الرومانيين أنطونيوس وأكتافيوس، فوقف بوغود ملك موريطنيا الغربية الى جانب أنطونيوس، بينما انظم بوخوص الثاني ملك موريطنيا الشرقية الى جانب أكتافيوس، وبانتصار هذا الأخير ضم بوخوص الشطر الشرقي من مملكة بوغود تحت سلطته بمساعدة الرومان، لكن هذا لم يدم طويلا، فسرعان ما وضعت إدارة المملكة بعد وفاة بوخوص الثاني عام 33 ق.م تحت تصرف الرومان الذين نصبوا ابتداء من عام 25 ق.م يوبا الثاني ملكا يحكم باسمهم، ويمهدا لمصير روماني محتوم هذا ما أدلى به شنييتي (2019) ، و أضاف شنييتي (2013) أنه ما حدث عندما أمر الامبراطور كاليغولا اغتيال بطليموس ابن يوبا الثاني عام 40م، ووضع نهاية للعرش الموريطني لتصبح المملكة تحت إدارة عسكرية تابعة لسلطته المباشرة، وهكذا يكون الرومان قد وضعوا تحت سيطرتهم الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.

■ **عملية مسح الأراضي ونزع الملكية:** لا شك أن الثروات الاقتصادية التي تزخر بها بلاد المغرب القديم، كانت تغري الرومان الذين تعودوا على أخذ حاجاتهم الغذائية من غلال المملكة النوميديّة التي كانت الممول الرئيسي لهم في عهد ملوكها، وفي هذا المقام نقل الينا تيتوس ليفيوس (TiteLive, 1954, pp. XXXI.19,45; XXXVI,3,1) بعض من الكميات الهائلة للحبوب التي كانت تنقل الى روما في عهد الملك ماسينيسا وخلفائه، ولعل تصريح يوليوس قيصر للشعب الروماني أثناء احتفاله بالانتصار على الملك يوبا الأول عام 46 ق.م واحتلاله لمملكة نوميديا، والذي قال فيه: " أتيت لروما ببلد يستطيع أن يزودها بمقدار 840 ألف قنطار من القمح" (أورد في شنييتي: 1984، ص 85). دليلا قاطعا يؤكد على الأطماع الاقتصادية الرومانية في المنطقة.

من أهم إجراءات الاحتلال الروماني في بلاد المغرب مسح الأراضي، وهي عملية تقوم على احصائها وتقسيمها الى حصص متناسبة المساحة أو متكافئة

القيمة، لتسهيل توزيعها على المنتفعين الرومان أو تأجيرها، مما يسمح للدولة مراقبتها واستغلالها استغلالاً محكماً، ويعتمد المسح الروماني على مبدأ تقسيم الأرض الى وحدات مساحية متساوية تدعى كنتوريائي (Centuriae) تساوي 200 يوجيرة (Iugera) أي حوالي 50 هكتار (أورد في شنييتي: 1984).

تقوم إجراءات المسح حسب عقون (2008) هذه على أساس أن الأرض أصبحت ملكية عمومية للشعب الروماني بعد انتزاعها من أصحابها وترحيلهم الى أراضي جبلية أو شبه صحراوية، ويحق للرومان التصرف فيها، وبالتالي فإن ما يعتبره هؤلاء نزاعاً للملكية، يراه القانون الروماني أمراً مشروعاً، حيث تضم الأراضي المنزوعة من أصحابها الى أراضي مستعمرة مجاورة، أو أملاك الامبراطور، أو الى كبار الملاك، ولاستغلال هذه الأراضي التي سلبت من أصحابها، ينبغي الإبقاء على قسم من المغاربة لتشتغل عند الرومان، وهذا الاجراء سيؤثر على المدى البعيد في هؤلاء الأهالي الذين سيزداد احتكاكهم بالرومان.

■ **خط الليمس:** يشير شنييتي (1999) أن الرومان اصطدم بمقاومة قبائل المور منذ البداية، ولم تهدأ المنطقة من الثورات والصراعات المتواصلة طول مدة الاحتلال، لذلك لجأ هؤلاء الى إجراءات عسكرية فعالة لردع سكان هذه المناطق الثائرة، وحماية المؤسسات المدنية داخل المقاطعة من انتفاضات الجبليين من جهة، وتحصين الحدود الجنوبية من هجومات القبائل الرعوية من جهة أخرى، تمثلت هذه الإجراءات في انشاء خط أمني دفاعي، وهو العمل الذي اصطلح له على تسميته بالليمس (Limes).

لقد توصلت الدراسات الحديثة التي قامت في الجنوب النوميدي حسب مسرحي (2008-2009) الى أن الليمس عبارة عن جهاز معقد يتكون من شبكة من التحصينات والجدران والخنادق، زيادة الى شبكة هائلة من الطرق الرئيسية والفرعية، وبالتالي فإنه نظام عسكري واقتصادي في أن واحد، تطور واتسع باتساع الإنجازات العسكرية التي كان الجيش يحققها في الميدان، أو حسب ما كان الأباطرة الرومان يسعون الى تحقيقه من أهداف.

كما أدى خط الليمس بمختلف عناصره دوراً مهماً في تكريس سياسة الرومنة المنتهجة، والقائمة على فرض الأمر الواقع على السكان الأصليين بتجريدهم من أراضيهم وطردهم نحو الجنوب، أو إرغامهم على الاندماج التدريجي والقبول بالأمر الواقع .

■ **سياسة الاندماج:** يرى رحمانى (2009) أن سياسة الرومان لم تقتصر على فرض سيطرتهم على المجالات السياسية والعسكرية ولاقتصادية، بل وصلت الى أخطر من ذلك، حيث شملت كذلك الحياة الاجتماعية والثقافية، فقد شرع الرومان قانوناً ينص على منح "المواطنة الرومانية"، اعتبره خير أداة لاندماج العناصر الأهلية في الثقافة والحضارة الرومانية، وضمان تبعيتهم المطلقة لسياسة الرومنة.

يُمكن هذا القانون الجديد الفرد من الحصول على العديد من المكاسب التي كان القانون قد أقصاه منها باعتباره أجنبياً، ويزيل أمامه العراقيل الثقيلة، ومن بين هذه المكاسب اتخاذ الاسم الثلاثي Tria Numina للاندماج نهائياً في الشعب الروماني، بل قد يصل التحول الى حد فرض تغيير الملابس التي يعتبرها القانون أجنبية عن الزي الروماني، فقد ظل المتجنس الى القرن الثاني الميلادي لا يمكنه الخروج الى الحياة العامة في غير اللباس الروماني، وعلى الخصوص التوجة Toge، كما يمكن للفرد الذي تحصل على المواطنة الرومانية اكتساب المشروعية الزوجية، بحيث يصبح اقترانه بزوجه شرعياً يعترف به القانون الروماني (أورد في: حارش، 1995) .

لا شك أن منح الإدارة الرومانية بعض هذه الامتيازات للمغاربة لم يكن الغرض منها تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات بين المستعمر والمستعمر، بل فان هذه التسهيلات التي أبداها الرومان تجاه فئة معينة من السكان، لم يكن من وراءها سوى استقطاب العناصر المغربية اللامعة، أصحاب النفوذ أو الجاه، وعليه فان هذه التنازلات كانت على حد قول محمد البشير شنييتي: "أسراً سياسياً، وليس جوداً انسانياً، سخت به المؤسسة الرومانية على الانسان المغربي المقهور، في إطار رسالة روما التمدنية" (أورد في: شنييتي، 1985، ص92) .

هذه بعض الأساليب والسياسات التي لجأ إليها الرومان لفرض سيطرتهم وتنفيذ مشاريعهم الاستيطانية على بلاد المغرب القديم، فما هي الآثار المعنوية التي انجرت عنها؟

❖ **الآثار المعنوية للاحتلال الروماني:** أشار مسرحي (2008-2009) أنه ترتب عن سياسة الرومنة أثارا معنوية عميقة في المجتمع المغربي القديم، تجلت في خلق وزرع الفتنة بين السكان المحليين من خلال الزج بأبناء القبائل الإفريقية في الحروب التي يخوضونها ضد أهالي أولئك المجندين، ويضيف شنييتي (1985) أن هذا ما تسبب في الانقسام والاقتتال بين الممالك المحلية بدلا من اتحادها في وجه المحتل، كما ركزوا على تعزيز سياسة الرومنة في المنطقة من أجل زرع التمايز العنصري بين الفئات الاجتماعية، مع تقسيم إدارة المناطق الجبلية الوعرة وتعيين حكام محليين مترومين، نذكر على سبيل المثال أسرة نوبل التي حكمت مناطق واسعة في الشمال النوميدي، ماسوناس في ألتافا، ويبداس بالأوراس، ما جعل هذه المناطق منفصلة إداريا عن بعضها وحال دون وحدتها في وجه العدو.

و من جهة أخرى يذكر (1951) Salama أن سياسة الرومنة وقوانينها التعسفية تسببت في خلق روح المقاومة واندلاع العديد من الثورات المحلية المطالبة باستعادة الأراضي التي استولى عليها الرومان، على غرار ثورة يوغرطة، ثورة أرابيون، يوبا الأول، تاكفاريناس، فيرموس، وغيرها، التي قابلها الرومان بسياسة الإبادة الجماعية والأرض المحروقة ضد الأهالي كنوع من التهيب، إضافة إلى شراء الذمم مقابل بعض الامتيازات لعزل الثورات المحلية عن مساندة الأهالي، ما تسبب في سرعة إخمادها والقضاء عليها، وكرس لطول فترة الاحتلال.

يشير (1943) Despois إلى أن عمل الرومان خلال فترة الهيمنة على بلاد المغرب على إنشاء العديد من المستوطنات ما أدى إلى تشتيت السكان المحليين وعزلهم عن بعضهم البعض إضافة إلى منع الاتصال والتقارب فيما بينهم، خصوصا بعد تشجيع الرومان لحركة الاستيطان. كما يذكر شنييتي (1984) وتهجير السكان من أراضيهم وزحزة البدو نحو الصحراء فنتجت عنه هوة وثغرة كبيرة بين القبائل المحلية.

لقد أدى إنشاء خط الليمس حسب مسرحي (2008)، إلى تشريد السكان وتفكيك الروابط العشائرية بعد مصادرة أراضيهم وزرع العناصر الدخيلة عن المجتمع المغربي، الأمر الذي أدى إلى تقاوم ظاهرة البداوة بفعل الإجراءات العسكرية الرومانية للحد من تنقلات القبائل،

إضافة إلى التكريس لوجود طبقية اجتماعية عنصرية تجعل للفرد الروماني الاعتبار الأول بين بقية الأجناس الأخرى، في حين يتذيل الفرد المحلي قائمة الطبقات الاجتماعية، وهو ما يؤكدته شنييتي (1985) ، و أضاف جوليان (1969) أن وخلق طبقة أرستوقراطية مغربية في المدن عرفت بولائها للرومان بسبب الترابط المصلحي بينهما وتعد هذه الظاهرة دخيلة على المجتمع المحلي .

يذكر حارش (1995) أن الرومان جلبوا مع قدومهم إلى بلاد المغرب القديم آلهتهم الرومانية غير أنها لم تلق قبولا لدى المغاربة سوى ثلاثة منها كونها تشبه في جوهرها الآلهة المحلية وهي: الإله ساتورن والإله جوبيتر اللذان استمدا روحهما من الإله بعل حمون، والإلهة كايليستيس التي استمدت روحها من الإلهة المحلية تانيث، حيث أقبل المغاربة على تقديسها بدليل العثور على عدد من النقائش البونية التي تحمل أسماء لأشخاص محليين اقترنت بأسماء هذه الآلهة على غرار النقيشة التي تحمل اسم الملك الموريطاني نوبل ابن ساتورنينوس كما صرح (Gsell 1900) .

ويشير (Gros 2002) إلى أن الرومان اهتموا بتخليد ذكرى موتاهم فابتكروا فكرة وضع بطاقة تعريفية على شواهد القبور تتضمن الاسم الكامل للميت والقبيلة التي ينتمي إليها مع الفترة التي عاشها، أخذ عنهم المغاربة هذه الفكرة التعريفية وهي ذاتها المتعارف عليها حاليا لدى أغلب الشعوب حيث أختصر الاسم الثلاثي والقبيلة في اللقب.

بطاقة تعريفية تخلد ذكرى ميت

D(IS) M(ANIBUS) S(ACRUM) /L(UCIUS) COELIUS /L(UCIUS) F(ILIUS) MO(DESTUS) / V(IXIT) A(NNOS) LXXV/ H(IC) S(ITA) E(ST) ///.

الترجمة:

إلى الآلهة مانس المقدسة؛ هنا يستريح لوكيوس كويليوس؛ ابن لوكيوس مودستوس عاش خمسة وسبعون سنة.

(المرجع: Lasser, 1997, p. 59)

أما بالنسبة للعادات فقد عرفت بلاد المغرب القديم الحمامات مع قدوم الرومان، ولم تكن هذه المرافق بمثابة أماكن مخصصة للاستحمام فحسب، بل كانت بمثابة منتديات ثقافية ومراكز للاسترخاء وقضاء أوقات الفراغ، ما يقابله في وقتنا الحالي مختلف الأندية الثقافية، ولم تعرف المنطقة هذه المرافق قبلا، ولعل أهم دليل على ترسخ فكرة إنشاء مثل هذه المراكز محافظتها

على نفس الهندسة التي أقيمت بها خلال الفترة الرومانية حيث كانت مقسمة أساسا على ثلاث غرف خارج القاعة الكبرى كالتالي: (أورد في: حارش، 1995)

-الغرفة الحارة (Caldarium): مخصصة للاستحمام.

-الغرفة الفاترة (Tepidarium): غرفة انتقالية بين الحارة والباردة.

-الغرفة الباردة (Frigidarium): هي آخر مرحلة يمر فيها المستحم تتصل بقاعة كبرى تمارس فيها المطالعة والأنشطة الترفيهية والرياضية (حارش، 1995، ص 217).

أكد مسرحي (2008-2009) أنه من الناحية الفكرية، تضمنت سياسة الرومنة فرض اللغة والكتابة اللاتينية في افريقيا من أجل طمس الثقافة المحلية، حيث أصدرت الإدارة الرومانية مراسيم حول شروط منح حق المواطنة ومن بينها ضرورة اتقان التحدث باللغة اللاتينية وتعلم الكتابة أيضا، وأقامت لهذا الغرض العديد من المدارس بمختلف مستوياتها خاصة في المدن الكبرى، التي تكونت فيها نخبة من الأدباء والكتاب الافارقة على غرار أبوليوس وترتليانوس وكبريانوس وغيرهم، فقد كانت قرطاجة بمثابة عاصمة اللغة والثقافة اللاتينية، وقد تسببت هذه الحركة في تراجع اللغة والكتابة الليبية، خاصة في المدن القابلة لعملية الانحلال والذوبان في ثقافة المجتمع الروماني.

لكن إن وجدت اللغة والكتابة اللاتينية في المدن الافريقية بيئة خصبة للانتشار والرسوخ، لتصبح لغة الثقافة والإدارة، إلا أن ذلك لم يقض كلية على اللغة الليبية حسب (1982) Benabou ، بل استمرت خاصة في المناطق الريفية والداخلية، مثلما يؤكد العدد الهائل من النقوش الليبية الممتدة من المغرب إلى طرابلس، كما ظل السكان المحليين، كما أشار إليه (2005) Lengrand خاصة منهم القاطنين في الأرياف يتكلمون باللغة الليبية الى وقت متأخر من فترة الاحتلال الروماني للمنطقة، بل وكانت أغليبيتهم تجهل اللغة اللاتينية الى درجة أن القديس أغسطين، كان يستعين بمرجم في كل مرة يتوجه الى سكان الأرياف المجاورة لمدينة هيبون (عنابة). وقد أشار مارسيل بن نابو في كتابه، إلى تعايش لغوي بين اللاتينية والليبية والبونية خلال فترة الاحتلال الروماني، هذا التعايش الذي اتخذ عدة أشكال: فكانت هناك مناطق تمكنت فيها اللاتينية من فرض نفسها على حساب البونية، التي حلت محل الليبية، ومناطق انتشرت فيها اللاتينية لكن دون المساس باللغتين الليبية والبونونية، وأخرى لم تتمكن اللاتينية من التوغل فيها والانتشار كالأرياف (أورد في: Benabou, 1982).

❖ خاتمة: توصلنا من خلال هذه الورقة البحثية الى الاستنتاجات التالية :

✓ اعتمد الرومان على أساليب مختلفة ومتعددة لاحتلال منطقة المغرب القديم، فشرعوا في البداية في عقد تحالفات مع الملوك المحليين، وخلق فتن وانقسامات فيما بينهم، قصد اضعافهم وتشيتيتهم، وبالتالي تسهيل عملية ضم أقاليمهم واحدا تلو الآخر. وبعد احتلال المنطقة وتحويلها الى مقاطعة رومانية، لجأ الرومان الى تشريع قوانين واصلاحات لاستغلال خيرات المنطقة وتحويل اقتصادها لخدمة الاقتصاد الروماني، ولل قضاء على الثورات وقمع ردود فعل المغاربة بعد مصادرة أراضيهم، أنشأ هؤلاء خط أممي دفاعي، عُرف بخط الليمس. ولعل من أخطر الإجراءات التي قام بها الرومان، هي محاولة ادماج بعض العناصر المحلية في الثقافة والحضارة الرومانية من أجل ضمان تبعيتهم المطلقة للسلطة الرومانية.

✓ خلف الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم آثارا بالغة الخطورة انعكست على كافة الأصعدة، ويشكل الجانب الفكري الجزء الأكثر تضررا، حيث تسبب الاحتلال بطمس جزء كبير من الحقيقة التاريخية حول الهوية الوطنية التي مُزجت لفترة طويلة مع البطولات الأجنبية للمحتل، لعل هذا أبرز ما جعل تاريخ المنطقة يقبع تحت الركام لفترة طويلة، وجعل الباحث المحلي يستند إلى ما كُتب بأيادي أجنبية ذات النظرة الاستعمارية نحو كل ما هو محلي، وعلى الرغم من تضافر الجهود العلمية والتنقيبات المحلية مؤخرا، غير أن جزءا كبيرا من الحقيقة التاريخية لا يزال غائبا من جراء تراكم الاحتلال بالمنطقة، وما ترتب عنه من تخريب وتدمير الدلائل التاريخية والأثرية الشاهدة على الثقافة المحلية.

❖ قائمة المراجع:

1. بشاري، م. الحبيب. (2012). علاقة روما بالممالك الإفريقية بعد زوال قرطاجة. مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 12(1)، 49-72.
2. جولييان، ش. أ. (1969). تاريخ إفريقيا الشمالية ج. 1، ترجمة محمد مزالي وبشير سلامة. تونس: الدار التونسية للنشر.
3. حارش، م. الهادي. (1995). التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
4. رحمان، ب. (2009). أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 2، 1-6.
5. شنييتي، م. البشير. (1984). التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
6. شنييتي، م. البشير. (1985). الاحتلال الروماني لبلاد المغرب: سياسة الرومنة (146 ق.م-40 م). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
7. شنييتي، م. البشير. (1999). الجزائر في ظل الاحتلال الروماني: بحث في منظومة التحكم العسكري والليمس الموريطاني ومقاومة المور ج. 1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

8. شنييتي، م. البشير. (2013). الجزائر: قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
9. شنييتي، م. البشير. (2019). روما الإمبراطورية وبلاد المغرب: سجل عسكري وتفاعل حضاري. الجزائر: موفم للنشر.
10. عقون، م. العربي. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
11. غانم، م. الصغير. (1998). المملكة النوميدية والحضارة البونية. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
12. مسرحي، ج. (2009). المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري: ثورات الأوراس والتخوم. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
13. يفصح، ن. (2018). المظاهر الحضارية في نوميديا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى بداية الاحتلال الروماني: الحياة الاجتماعية والثقافية. كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
14. يفصح، ن. (2021). سياسة الاستيطان الروماني في المغرب القديم (أواخر العهد الجمهوري-أوائل العهد الإمبراطوري) مجلة التاريخ المتوسطي، 3(1)، 87-104.
15. Decret, F., & Fantar, M. (1981). *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité: Des origines au Ve siècle*. Paris: Payot.
16. Despois, J. (1943). La bordure saharienne de l'Algérie orientale. *Revue Africaine*, 43, 197-219.
17. Gros, P. (2002). *L'architecture romaine du début du IIIe siècle av. J.-C. à la fin du Haut-Empire: Les monuments publics* (2e éd.). Quercy, France.
18. Gsell, S. (1900). *L'Algérie dans l'Antiquité*. Alger: Librairie Éditeur.
19. Lassère, J.-M. (1997). *Ubique populus: Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères*. Alger.
20. Polybe. (2003). *Histoire* (D. Roussel, Trad., 2e tirage). Paris: Gallimard.
21. Salama, P. (1951). *Les voies romaines de l'Afrique du Nord*. Alger: Imprimerie officielle du Gouvernement général de l'Afrique.
22. Salluste. (2012). *La Guerre de Jugurtha* (A. Ernout, Trad.). Paris: Les Belles Lettres.
23. Tite-Live. (1954). *Histoire romaine* (G. Baillet, Trad.). Paris: Les Belles Lettres.